تقدم أفكار الثـورة الفلسطينية من زاوية رؤيـة حاولت أن تكون ماركسية لينينية ، توحيدا للغة الحوار دون المساس بجوهر الافكار » (ص ١٠) . ان هذه الاشارة من الكاتب تعني ، ان لديه لغتين للحوار ، لغة ماركسية لينينية ، ولغة أخرى ، غير ماركسية . وكل لغة توجه لقطاع معين وتستخدم بالطريقة التي تناسب الكاتب . ولا أدري كيف يمكن الالتزام بلغتين للحـوار في مناقشة قضية مـن القضايا . هل القضية مجرد لعب بالالفاظ والكلمات واستخدامها بهذه الطريقة أو تلك ، ام انها قضية منهج بالاساس ؟ وهذا ما جعلني أؤكد بعد قراءتي للكتاب ، ان محاولة الكاتب أن تكون رؤيته ماركسية لينينية فشلت ، وانه كان أسير نهج انتقائي قام على فهم مشوش وسطحي للماركسيـة . وهذا واضح في استخدامه لبعض المقولات الماركسية ، التي استخدمها وفسرها كما يريد بعد أن قطعها عن سياقها العـام . اضافة الى الصـاقه مواقف بالماركسية غريبة عنها ، مثل قوله « ان اللينينية تؤيد أي وحدة حتى ولو قامت بها قوى رجعية » (ص ٦٢) ، وهو تعميم غير صحيح لمواقف اتخذها ماركس وانجلز ولينين من بعض الحركات القومية في أوروبا ضمن ظروف تاريخية معينة . فماركس مثلا ، أدان الحركـة القومية التشيكيـة سنة ١٨٤٨ ووصفها أنها « المخفر الامـامي للقيصرية الروسية » ، في حين أيد ماركس وانجلز حركة توحيد المانيا ، ووصف انجلز في احدى رسائله لماركس ، ما يقوم به بسمارك مـن أجل توحيد المانيا بأنه « جزء من عملنا » . وهذا هو جوهر الماركسية الـذي أكده لينين بقولـه « ان روح الماركسية كلها ، نظامها كله ، يقضي بأن تدرس كل اطروحة من طروحاتها من المنظور التـاريخي فحسب ، وبالارتبـاط بتجربة التاريخ العينيـة فحسب » (١) .

تدور فصول الكتاب حول مناقشة بعض الآراء والمواقف لليسار الاسرائيلي الجديد ، من خلال ما عرضته المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتسبين » والتحالف الشيوعي الثوري « الجبهة الحمراء » والكاتب يؤكد في البداية على وجود مواقف مشتركة بين هاتين المنظمتين وبالتحديد ، الجبهة الحمراء ، وحركة المقاومة الفلسطينية بشكل عـام هي : فلسطين الديمقراطية كهدف ، والعنف الثـوري كوسيلة نضـالية ، وتأكيد « استقلاليـة الارادة الجماهيرية الثـورية » والفصل بين الصهيونيـة واليهـود كيهود . ثم ينتقـل الى تحديد نقـاط الاختلاف ، فيرى أنهـا تنقسم الى مجموعتين ، الاولى : تدور حول نظرة اليسار الاسرائيلي الجديد الـى « التجمع الاسرائيلي » ووصفه له بأنـه « مجتمع قومي ، ومجتمع طبقي » ، أما الثانية : فتدور حول أوجه نقد هذا اليسار لبعض مواقف حركـة المقاومـة الفلسطينية وتحـديدا فتح . (ص ٥٣ — ٥٤) .

بالنسبة للمجموعة الثانية من أوجه الاختلاف ، جهد الكاتب خلال عرضه لها أن يدافع عن فتح ، وأن يرد على الانتقادات الموجهة اليها . وهنا غرق الكاتب في دفاع لفظي سطحي دون أن يتعمق لا في دراسة أدبيات منظمات اليسار الاسرائيلي الجديد ، ولا في تحليل موقف فتح من قضايا الثورة العربية السياسية والاجتماعية . فالكاتب اعتمد في عرضه هنا ، على ما ورد فقط في دفاع رامي ليفنه أثناء محاكمته بتهمة الانتساب للجبهة الحمـراء ، ولم يرجع الى ادبيات هذه المنظمات التي تعطي موقفا متكاملا وواضحا عن العلاقة الديالكتيكية بين الصراع ضد اسرائيل والامبريالية في العالم العربي ، وترابط هذا الصراع مع الثـورة الاجتماعية في الاقطـار العربية (٢) . وهو موقف لا يختلف من موقف منظمات المقاومة ذات النهج الماركسي وان أختلف في بعض جوانبه ومنطلقاته عن موقف فتح .

بالاضافة الى ذلك ، فان الكاتب في الوقت الذي أكد فيه في البداية ، ان هناك لقاء مشتركا حول العنف الثوري كوسيلة نضالية ، عاد واشار الى وجود نوع من الخلاف حول مفهوم هذا العنف لدى هذه المنظمات ، استنادا على فقرة وردت في دفاع ليفنه المذكور ، الذي ميز فيه بين « أعمال ارهابية » موجهة ضد مواطنين أبرياء « تساهم في ابقاء ، بل زيادة الكراهيـة والخوف المتبـادلين بين الشعب العربي واليهودي » وبين أعمال عنف ثورية أخرى ضد الكيان الصهيوني . (ص ٦٤) . وعلى الرغم من أن الكاتب أدان هذا الموقف ووصفه بالانتقائية ، الا انه في تقديري لم يتعمق في مناقشة قضية العنف الثوري الفلسطيني ضد كيـان عنصري استيطاني ومعسكر بكامله على الطريقة الاسبارطية . صحيح أن هناك اتفاقا عاما حول ممارسة العنف الثوري ، الا انه تظهر أحيانا بوادر لرفض بعض أشكـال